مقدمة المترجم

لا بدَّ لي هنا أن أسجِّل شكري لأخي الأستاذ عماد ريحاوي الذي ساق إليَّ هذا الخير حيثُ طلب إليَّ نقل كتاب الدكتور مراد ويلفريد هوفمان إلى العربية ليستفيد من تجربة هذا الكاتب، المفكِّر، المثقَّف، الدبلوماسي، اللَّبق، إلى القراء الذين يحملون همَّ الدعوة إلى الله، ويساهمون من قريب أو بعيد في الدعوة إلى الإسلام بين غير الناطقين بالعربية ممَّنْ لم يسمعوا بعدُ بهذا الدين العظيم، أو سمعوا به من خلال الإعلام المُغْرِض المناوئ لدين الحقِّ والخير والعدل والمساواة.

وقد اتضحت لي، دون أدنى شك، الثقافةُ الواسعةُ التي حبا الله المؤلفَ بها، وسعة اطلاعه، وصدق لهجته في الدعوة إلى هذا الدين العظيم، ورقيق حسِّه، ووضوح منهجه، وصدق عقيدته ومتانتها، بحمد الله وتوفيقه وقدرته، نحسبه كذلك ولا نزكيه على الله.

أعجبني كثيرٌ من مواقف الكاتب، وتأملاته، وثقته بالله، وأمله الواسع أن يحييَ الله موات أبناء أوربا ويهديهم إلى هذا الدين العظيم؛ دين الله الذي اختاره لأهل الأرض.

ولا بدَّ لي أن أدوِّن هنا أن الكاتب أبكاني مراراً من خلال رقَّة مشاعره، ودقة تصوراته، وثاقب نظره في أمور عقيدتنا وشرعنا وديننا الحنيف.

وأضحكني أحياناً، وأثلج صدري جداً أن أقرأ كثيراً من ردوده المباشرة المتعقلة الحصيفة والمسكتة على غير واحد، وفي غير مناسبة، لمن يناوئ هذا الدين أو يريد به شراً.

وقد حرصت من خلال الترجمة أن أنقل بدقّةٍ أفكار الكاتب، وتصوراته، وآراءه، وعواطفه، وقد بذلت ما وسعني من جهد ودقة وموضوعية وأمانة ووقت، فإن أحسنت، فبتوفيق من الله وعونه وفضله، وإن أخفقت، فمني ومن الشيطان، أعاذنا الله وإياكم من شروره ونفثه ونفحه ونفخه.

ثم إني اجتهدت في وضع قائمة بأهم المفردات التي وردت في هذا الكتاب لما رأيته من خير في جمعها ووضعها في متناول الدعاة الذين يسهمون في الدعوة بين غير الناطقين بالعربية، لعلها تثري معلوماتهم وتفيدهم في التعرف على الكثير من المصطلحات التي قد يتعرضون للحديث عنها أثناء عرض الدعوة إلى غير المسلمين، فالله أسأل أن ينفع بها.

ويطيب لي أن أسجل الشكر الخالص إلى أخي الأستاذ عماد جانودي الذي قرأ مسودة الترجمة قبل النشر وأبدى عدداً من الملاحظات القيمة، جزاه الله خير الجزاء، وأخي المهندس مازن جراح الذي أفدتُ من ملاحظاته الطيبة، وأخي الأستاذ وليد نذير عتمة، الذي قرأها وعلّق عليها مأجوراً ومشكوراً.

والشكر موصولٌ قطعاً للناشر، مكتبة العبيكان، وأخصُّ بالذكر الأستاذ محمد العبيكان، لحرصه على تقديم فكر هذا المفكّرِ المسلم من أصل غير عربي إلى أبناء العربية والإسلام، لعلهم يرون مدى الحاجة إلى مساهمتهم، وهم أبناء العروبة والعربية، في الدعوة إلى هذا الدين ونشره والحُرْقَةِ عليه.

وفق الله الجميع لما يحبه ويرضاه.

المترجم: د. محمد سعيد دباس

الرياض. ١٤٢٥هجري = ٢٠٠٤ ميلادي

mdabas@stc.com.sa

توطئة

يمكن تلخيص المأزق الذي يعيشه الإنسان المعاصر في عدة كلمات: لقد عرفنا كيف نطير في الأجواء كالطيور، وعرفنا كيف نسبح في المحيطات كالأسماك، إلا أننا لم نعرفْ بعدُ كيف نعيش على الأرض كما يعيش بنو البشر الطيبون. وإن بحث الإنسان عن تعلُّم كيفية الحياة كإنسان جيد يطرح أكبر تحدٍّ للإنسان في الألفية الجديدة. ولا غرو أن القرن العشرين شهد تقدماً ملحوظاً في الإنجازات العلمية، والتقنية، والتطوير. إلا أنه مع ذلك، كان أعنف قرنٍ في التاريخ البشري فقد قضى على أكثر من مئة مليون نسمة خلال الحربين العالميتين، كما شهد أكثر من مئتي صراعٍ من الصراعات المحلية. وبالرغم مما شهده القرنان الماضيان من التطور الاقتصادي فلا يزال أكثر من ٤٠٪ من سكان الأرض يعيشون في فقر، بينما يعاني أكثر من ٢٠٪ آخرون من فقر مدقعٍ، بينما نلاحظ أن ٨٧٪ من الإنتاج الإجمالي المحلي تمتلكه وتتحكَّم فيه عشرون دولةً تمثِّل ١٨٪ من سكان العالم بأجمعه. فهل سيكون القرن الحادي والعشرون أحسن حالاً من هذا؟ ولن نجد جواباً سهلاً على هذا السؤال.

وقد تكون الإجابات السهلة مضللةً أحياناً. ومع ذلك، فإن اليأس من متابعة البحث سيقود بكل تأكيد إلى العدم والهلاك، ولا يبقى أمامنا إلا خيارٌ واحد حقيقي وهو البحث عن خياراتٍ بديلة. وكثيرة هي قصصُ الأشخاص الذين انخرطوا في هذا المضمار، إلا أنهم غالباً ما نجحوا في تقديم تعزيةٍ جزئيةٍ فقط لما يبدو أنه أفقٌ كئيبٌ موحِشٌ. ومن بين أولئك الذين اهتموا بالبحث عن تلك الخيارات البديلة واستطاعوا أن يروا قليلاً من النور في نهاية النفق المظلم مفكرَّان ألمانيان هما: ليوبولد ويس *Leopold Weiss* (محمد أسد)، ومراد ويلفريد هوفمان. وأما قصص بحثهما عن

الحقيقة فقد رواها بأسلوبين متغايرين تماماً. فَبَيْنَا نلحظ أن كتاب محمد أسد "الطريق إلى مكة" هو الأوديسة المحرِّكة للمشاعر لروحٍ مضطربةٍ معذَّبةٍ كانت على موعد مع قدَرِها خلال النصف الأول من القرن العشرين، فإننا نجد في كتاب مراد هوفمان "مذكرات"، والذي يغطي النصف الثاني من القرن ذاته، ينتمي إلى نوع آخر. فرؤاهُ مشرِقَةٌ لأنها تكشف الحجب عن نبضات قلبٍ، وشوقِ الروح للبحث عن الحقيقة في عالمٍ أقلقه الفقر مع الكثرة، والبؤس مع الثروة والازدهار، والتشوش والاضطراب مع التقدم. وإن الإشعاعات الهادئة من الضوء التي تنبعث من صفحات هذه المذكرات تبعثُ نشوةً في الذهن وتثير كوامن الروح.

لقد كان من دواعي سروري أن أقرأ هذه المذكرات آنَ كنت أعدُّ لاستقبال الدكتور مراد هوفمان في إسلام آباد ليكون الضيف المتحدث الأول في "محاضرة ذكرى خرَّم مراد" في شباط/فبراير ٢٠٠٠. وساءني جداً أن أعلم أن هذا الكتاب لم يعدْ متوفراً لعدم طباعته لفترةٍ طويلة نسبياً، ولذلك فإنني شاكرٌ جزيل الشكر ثانية لأن الأخ مراد هوفمان وافق دون ترددٍ على تحديث هذه المذكرات ومنح المؤسسة الإسلامية الفرصة لنشرها بشكلها وحُلّتها الجديدين.

ويشرفني أن أقدم توطئةً لكتابٍ غنيٍّ بإضاءاته الفكرية وملاحظاته عن العالم الذي نعيشه اليوم، كتابٍ يكشف كثيراً من المعالم في الرحلة إلى الإسلام. وليس هذا الكتاب مذكرات لشخص واحدٍ فقط، بل هو سجلٌّ تاريخي لعصرنا، بل وقد يكون رائداً للمستقبل.

ليستر. ٢٠ تشرين أول/أكتوبر

٢٢ رجب ١٤٢١

خورشيد أحمد

تمهيد

ألقتْ الإشراقات الفكرية التي كشفتها هذه المذكرات الضوء على الطريق التي سلكها المؤلف إلى اعتناق الإسلام، وهي عملية امتدت على مدى سنوات عديدة، تُوِّجتْ باعتناقه الأكيد لهذا الدِّين العظيم عام ١٩٨٠.

وكما أشار المؤلف مراد هوفمان، "إن صفحات هذا الكتاب لا تعدو أن تمثِّلُ "حواراً مع الذات"، نشأتْ بسبب الاستغراق الشديد لمثقَّفٍ ألماني مع قضايا الأخلاق، والسلوك وعلم الجمال.

وقد بدا مراد هوفمان للوهلة الأولى نافراً من مادية الحضارة التقنية، وكذلك من عُقْم علم الاجتماع الغربي وما يتضمنه من إنكار لكافة القيم المتعلقة بتساؤلات الإنسان عن مصيره الروحي، مما قادهُ، كما هي الحال، إلى اكتشاف التناغم بين الأشكال الجمالية للعالم الإسلامي، والمظهر الديني الذي تتحلى به الشعوب الإسلامية. وقد أدى هذا الاكتشاف بدوره إلى الكشف عن العلاقة الحميمة بين الثقافة الإسلامية والدين الإسلامي.

وقد حفزته تجاربه كدبلوماسي ورحَّالةٍ في كثير من البلدان الإسلامية، وبشكل رئيسٍ في دول شمال إفريقية وتركيا، لينغمس في دراسة القرآن الكريم، وبمرور السنين، أدرك مراد هوفمان أن اعتناق الإسلام وقبوله هو النتيجة المنطقية الوحيدة لبحثه المطلق عن حقيقة الحياة. وبناء على هذا فقد اتخَّذ اسمه "مراد"، والذي يشير إلى أهمية "الهدف" الأسمى، أو ما يمكن أن نعبِّر عنه بأنه الهدف الأسمى لحياة ويلفريد هوفمان.

ولا شكَّ أن هذه المذكرات، كما سيظهر من صفحات هذا الكتاب، ستساهم إلى حدٍّ كبير لفهمٍ وتقديرٍ أفضل للإسلام من قبل الغربيين الذين لا يزالون ينظرون إلى ديننا بنظراتٍ تتفاوت ما بين الشك إلى العداء، والذين يعاندون ويصرون على رفض قبول التفكير بأن هناك إمكانية لوجود وحي سماوي حقيقي بعد زمن عيسى عليه السلام، بل هو الوحيُ الذي يختلف بشكل جوهري عن الأديان الفاتنة الصور كما هي في الإنجيل، والتجارب الدينية للغرب، وذلك بسبب وضوحه، وبساطته.

محمد أسد

ليشبونة. كانون أول/ديسمبر ١٩٨٥

مقدمة

«المرء عدوُّ ما جهل»

علي بن أبي طالب ﷺ

يبدو لي أنه من الأسهل أن أشرح ما لا تعنيه هذه المذكرات، من أن أصف ماهيَّتها. فهي بالتأكيد لا تسجِّل الانطباعات والمشاعر النفسية العميقة لـ: "اعترافات" شخصٍ تحوَّل من دينه واعتنق الإسلام، كما أنها لا تحاول أن تتفحص ما لا يمكن تحليله: العناصر المتكاملة لكل من المشاعر والتأمل التي شجَّعتْ ودفعتْ لتغيير الديانة. كما أن هذه المذكرات لا توفِّرُ سيرة ذاتية متسلسلة الأحداث تاريخياً، حتى ولو أنها عكست وعبَّرت عن حوادث ثابتة، كما هي الحال لدى الحديث عن مكة المكرمة والمدينة المنورة. إلا أن هذا الكتاب يصور، كما هي المرآة، مراحل محددة من العملية الذهنية الفكرية التي مررت بها حتى اعتناق الإسلام والتي غذَّاها عددٌ محدودٌ من التجارب الرئيسة. ولقد كانت عملية انجذاب ذاتية عميقة الجذور إلى علم الجمال وعناصر الثقافة الإسلامية، والحضارة الإسلامية، والفلسفة، والتي لعبت دوراً رئيساً فيها.

غالباً ما يُحسَد الدبلوماسيون على قدرتهم على تمثُّل الثقافات الأجنبية وامتصاصها، وحتى إذا كان هذا الأمر من الخطوط الجانبية فقط. إلا أن اختراق ثقافة أجنبية غريبة والوصول إلى كوامنها أمر يحتاج إلى مزيد من الجرأة العاطفية والعقلية. وهو أمر أيضاً يحتاج إلى مغامرة: أي، إدراك أساس الحضارة وجوهرها من الداخل، ألا وهو الدين.

ولا شك أن من يعتنق الإسلام من غير أهله سيرى بلاده "بضوء جديد". وسيقوده هذا مُكْرهاً إلى حوارٍ مع ذاته. نعم، هذا هو موضوع هذا الكتاب.

مراد ويلفريد هوفمان

بروكسل. صيف عام ١٩٨٦